بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَة

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَدَمٍ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ صُنُوفَ النِّعَمِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، وَآتَاهُ مِنَ الطَّاقَاتَ مَا يُعِينُهُ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ تَذْلِيلاً وَتَسْهِيلاً، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، المُوَجِّهُ الحَانِي وَالمُرَبِّي البَانِي، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، الَّذِينَ كَانُوا بُنَاةً لِلتَّارِيخِ وَأَسَاتِذَةً لِلْعَالَمِ، وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ،

يدور الجدل في أصله اللغوي على معاني القوة والصلابة وشدة البأس، فالجدل هو العظم الموفَّر لا يُكسر، ولا يُخلَط غيره به، والرجل المجدول الخلق هو المحكم الفتل، المتين التركيب، ويقال: جدَل الشيءُ؛ أي قوِي، وجدل خصمَه: صرعه على الجدالة؛ أي الأرض، وكان من ذلك أن جادله بمعنى ناقشه وخاصمه، وأنَّ الجدل شِدَّة الخُصومة والقُدرة عليها.

والجدل إذن ضرْبٌ من الخُصومة والمغالبة بالحُجَّة، يثور بين المتجادلين في قضيَّة ليسوا فيها على رأْيٍ جَميع، فيحاول كلٌّ أن تكونَ له الغلبةُ فيه والانتصار بِما يُدْلِي به من حُجج، ويصطنع فيه من وسائل الإقناع؛ مثلهما كمثل المصطرعين، لا يزال كلاهما بصاحبه يعالج مقاومته حتى ينتصر عليه، ويلقي به على الأرض واهنًا مخذولاً.

لهذا كان الجدل مدعاةَ إثارة، ومظنة هياج، يدفع إلى المخاشنة والسخرية، ويغري بالاجتراء على الحقيقة واستباحة طمسها بالحيلة والافتراء، وربما دفع إلى القتال والانتقام، وهيهات مع هذه الملابسات أن يبلغ الجدل منتهاه، ويؤتي ثمرته المرجاة إلا مع الحلم، وإحسان الظن، ورياضة النفس على الصبر والاحتمال.

وكان لكتاب الله عز وجل الأثر الأكبر في مناهج المسلمين؛ إذ إننا سنجد أن القرآن الكريم يخاطب الناس بكل دلائل العقل البرهانية والجدلية والخطابية، وذلك لكي يلبي كل حاجات الناس العقلية ومواهبهم وقدراتهم، وسوف نرى أن أكثر طرق

الاستدلال التي استخدمها القرآن الكريم تتجلى في المنهج الكلامي الإسلامي، فقد استخدم القرآن الكريم القياس بشكل واسع النطاق، وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي تطبيقات كثيرة في كتاب الله عز وجل.

وقد جاء الإمام الطوفي فقدم لنا كتابًا جامعًا مانعًا في علم الجدل، قسمه تقسيمًا بديعًا على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة:

المقدمة: في اشتقاق الجدل ورسمه ومادته وموضوعه وغايته ومسائله.

الباب الأول: في بيان حكم الجدل شرعًا.

الباب الثاني: في آداب الجدل.

الباب الثالث: في أركان الجدل.

الباب الرابع: في أقسام الاستدلال وحصرها بحسب الإمكان.

الباب الخامس: في استقراء أكثر ما في الكتاب العزيز من الوقائع الجدلية وتخرجها على القواعد الاستدلالية على ترتيب السور والآيات.

خاتمة الكتاب: في ذكر جملة من الماجريات الجدلية الواقعة في ماضي الزمان بين الناس.

وقد استغرق الباب الرابع في استقراء أكثر ما في القرآن من الوقائع الجدلية حيث سار مِن أوَّل القرآن إلى آخره يجمع آي المباحث العقلية، ويُقَرِّرُها.

ولهذا اعتبر السيوطي في "الإتقان" هذا المؤلف خاص بجدل القرآن فقال وهو يتحدث عن هذا المعنى: وقد " أفرده بالتصنيف نجمُ الدين الطوفي في كتابه عَلَم الجَذَل في عِلْم الجدل".

وقد حاولنا جاهدين إخراج هذا الكتاب الرائع في أزهى ثوب، وأبهى صورة، ونسأل الله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله وسلم على سيّد البلغاء من الناس مُحمّدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

obeikandl.com

# مقدمة حول علم الجدل

تعريف الجدل في اللغة:

قال ابن فارس: " الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه ".

ومادة " جدل " تدور في اللغة العربية حول أربعة معانٍ:

الأول: الإحكام، يقال: جدله يجدله إذا أحكم فتله.

الثاني: الشدة، ومنه يقال للأرض: جدالة لشدتها.

الثالث: الصراع، ومنه قيل للصريع: مجدل ومنجدل.

الرابع: الجدل في الخصومة، ومنه يقال: رجل جدِل ومجدال، أي شديد الخصومة.

تعريف الجدل في الاصطلاح:

قال الفيومي في "المصباح المنير": الجدل هو مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.

وقال الشريف الجرجانيفي كتابه " التعريفات ": الجدل هو دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو برهان.

وكلا التعريفين صحيح، ومن هذين التعريفين يتبين أن المجادلة لا بد أن تشتمل على عدة عناصر:

١- المدافعة بين شخصين أو أكثر، فتأمل الشخص في ذهنه لا يسمى جدالاً.

٢- أن المقصود من المجادلة ظهور أرجح الأقوال.

٣- الأدلة، فإن كانت مجرد دعاوى من دون أدلة فهذه مخاصمة وليست مجادلة.

تعريف المناظرة في اللغة:

المناظرة مفاعلة من النظر، وفي الغالب فإن صيغة المفاعلة في اللغة العربية تدل على المشاركة بين اثنين أو أكثر، كما في المقاتلة والمشاتمة ونحو ذلك.

ويطلق النظر في اللغة العربية على عدة معانٍ منها:

obeikandi.com

١-النظر الحسي:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. أي مبصرة بعينيها.

٢-النظر المعنوي أي لتفكر:

قال تعالى: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]. يتأملون ويتفكرون.

٣-الانتظار:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]. أي أمهلونا

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤]. أي أمهلني.

المعنى الاصطلاحي:

النظر في الاصطلاح عند المتكلمين والأصوليين هو:

"فكر القلب أو تأمله في حال المنظور ليعرف حكمه جمعاً أو فرقاً أو تقسيماً".

الفرق بين الجدل والمناظرة:

اختلف أهل الكلام في هذه المسألة، والصحيح أن الجدل بمعنى المناظرة والعكس، فكلاهما بمعنى الآخر. والقرآن استعمل لفظ المجادلة بينما المناظرة – التي يراد منها معنى المجادلة - من المصطلحات الحديثة.

obeikandl.com

# نشأة علم الجدل

الجدل ظاهرة عالمية لوجودها في غير الأجناس البشرية كالملائكة وإبليس، لذلك فإننا إذا أردنا معرفة تاريخ الجدل ونشأته، فإن القرآن الكريم يروي لنا نماذج من جدل الأمم الغابرة منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة بل قبل وجوده، كما ورد في جدل الملائكة حول كون آدم خليفة في الأرض، ولذلك لا يمكن أن نحدد وقتًا زمنيًا لنشأة الجدل بمعناه الفطري العام؛ لأنه وجد بوجود الإنسانية - كامنًا في نزعاتها البيانية - أما نشأة علم الجدل في البيئات الإسلامية فقد ظل مقصورًا في عصر الصحابة والتابعين على ما تدعو إليه الحاجة من تبيان الحق ودفع الشبه وترجيح الأدلة في الاجتهادات الفقهية، ولم يقع في العقائد إلاّ نادراً؛ لأنهم كانوا يعرفون الأدلة نصّاً ومعنىً، وكانت فطرهم سليمة.

وبعد أن ترجمت الثقافات والعلوم اليونانية والفارسية إلى العربية وظهرت مدارس علم الكلام وانتشرت المذاهب الفلسفية وهب الصراع الفكري بين دعاة الحق ودعاة الباطل ، تكونت من تلك المجادلات الكلامية والآراء الفلسفية ثروة فكرية هائلة، وإن كان معظمها ندّ عن مناهج الصواب فقد تصدى علماء الشريعة الإسلامية لتلك النزعات والآراء بالقلم واللسان ، وجادلوا بالحجة والبرهان ، فنقضوا وأبطلوا ما روجوه من دعاوى لاتتفق ومبادئ الإسلام.

ويقال: إنَّ أول من دّوَّنَ في الجدل هو أبو علي الطبري، وأول من كتب فيه البزدوي، ثم كثر التأليف من بعدهما، وأول من صنف فيه من الفقهاء الشاشي سنة ٣٦٦هـ.

أسباب انتشار الجدل:

١- انتشار مجالس القُصَّاص في المدن الإسلامية، فقد فتح المجال للناس في تناول المشكلات الطارئة، والرغبة في معرفة حكمة الدين.

٢- مهاجمة اليهود والنصارى والدهريين وغيرهم للدين الإسلامي، فتصدى لهم العلماء لإبطال أقوالهم.

٣- طرق باب البحث في بعض الموضوعات العويصة كالغيبيات التي كانت مزالق لبعض الباحثين، وميدانًا يتفاضل فيه المتجادلون.

٤- ميل العقول إلى نوع من الترف العقلي بالبحث فيها.

كل هذه الأسباب هيّأت العقول للجدل والمناظرة فيما يعرض من مسائل دينية وسياسية، فثارت بحكم الضرورة رياح الخلاف لاختلاف الأنظار، وتباين المقاصد.

obeikandl.com

# أنواع وصور الجدل وحكمها

الجدل والمناظرة يتكون من شيئين:

١- الغاية والنية.

٢- الطريقة والوسيلة.

النية فيها إما أن تكون محمودة أم مذمومة، والطريقة التي يُحكم بها المجادل القول أو يدفعه يكون إما حقا أو باطلا، وسيتبين ذلك في المسائل الآتية إن شاء الله:

أنواع الجدل:

للجدل أربعة أنواع أو حالات، لا تخرج عنها بحال من الأحوال، وهي:

١- المجادلة بالحق للحق.

٢- المجادلة بالباطل للباطل.

٣- المجادلة بالحق للباطل.

٤- المجادلة بالباطل للحق.

أما المجادلة بالحق للحق فليست كلها محمودة، فهذا النوع تتعلق به المصلحة والمفسدة، فمتى كانت المصلحة فيها راجحة كانت محمودة ومأمور بها أمر إيجاب أو أمر استحباب، ومتى كانت المفسدة فيها راجحة أصبحت مذمومة. والمجادلة بالحق للحق والمصلحة فيها راجحة لها صورتان:

١- المجادلة في التعلم، كتعليم الجاهل والمخطئ ومناظرة أهل العلم بعضهم لبعض ومجادلة طالب العلم لشيخه للتعلم، ومنها قول عمر ابن عبد العزيز " ما رأيت رجلا لاح الرجال إلا أخذ بجوامع الكلم". وقيل لابن عباس رضي الله عنه "بما نلت العلم؟"، قال: "بقلب عقول ولسان سئول". ولذلك قالوا " لا يطلب العلم رجلان: مستحٍ ومستكبر، فالمستحي يمنعه حياءه أن يسأل والمستكبر يمنعه الكبر أن يسأل".

٢- المجادلة لإقامة الحجة ودرء الشبهة، وأول ما يدخل في هذا مناظرة الكفار وإقامة الحجة عليهم، والرد على شبهاتهم وافتراءاتهم، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

ومن أمثلة هذا النوع مناظرة إبراهيم للنمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ومناظرة موسى لفرعون، ومناظرة عيسى لبني إسرائيل وغيرهم من الأنبياء، وكذلك مجادلة نوح عليه السلام لقومه لإقامة الحجة عليهم وإظهار الحق،

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:٣٢].

ويدخل فيه أيضا مناظرة أهل البدع والأهواء، لا سيما قبل قتالهم أو قتلهم وتعزيرهم، كما ناظر ابن عباس وعلي رضي الله عنهما الخوارج قبل أن يقاتلوهم، ومناظرة الأوزاعي رحمه الله لقدريّ، ومناظرة عمر بن عبد العزيز لغيلان الدمشقي ليقيم عليه الحجة أو يقتله، ومناظرة الإمام أحمد للجهمية ليقيم عليهم الحجة ويرد شبههم عند الخليفة.

فهاتان الصورتان محمودتان لما فيهما من مصلحة راجحة وقد تكون من الواجبات الشرعية إذا ترتب على عدمها انتشار الباطل ورد الحق وفتنة الخلق عن دينهم واعتقادهم للباطل.

أما المجادلة بالحق للحق والمفسدة فيها راجحة فهي أيضا لها صورتان:

١- مجادلة الضعيف العاجز، من ليست عنده ملكة المناظرة، فليس كل عالم يمكن أن يكون مجادلاً وليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به. فقد تعرف مسألة لكن لا تستطيع أن تقنع بها غيرك، فالقدرة على الإقناع والتوجيه وإقامة الحجة وسرعة البديهة في الرد على الخصوم واستحضار الرد وتعريف الحق بأسلوب صحيح ليس كل

أحد يستطيعه أو يقدر عليه. ومن الضعف أيضا جهل المجادل بحجج الخصوم وأدلتهم ووجه الرد عليهم، فهذه المناظرة المفسدة فيها راجحة.

٢- الجدال فيما لا نفع فيه، وهذه الصورة يدخل فيها جدال المعاند المخاصم الذي يناقش في البديهيات والضروريات، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم "ابغض الرجال إلى الله الألد الخصم"، (والْأَلَدّ هو شَدِيد الْخُصُومَة مَأْخُوذ مِنْ لَدِيدَيْ الْوَادِي وَهُمَا جَانِبَاهُ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا اُحْتُجَّ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ فِي جَانِب آخَر. وَأَمَّا الْخَصِم فَهُوَ الْحَاذِق بِالْخُصُومَةِ) فهذا النوع من المجادلين لا فائدة في مناظرته، ولهذا كان ابن سيرين ينهى عن الجدال إلا رجلا إن كلمته طمعت في رجوعه. فالمفسدة الحاصلة من إضاعة الوقت وامتهان العلم وطرح الشبه والتشكيك في اليقينيات مع ما يكون منه من الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومخالفة المنقول والمعقول، يوجب الإنقطاع عنه، وذمه والبعد عنه، وعامة ما ورد من النهي في مناظرة أهل البدع والأهواء يدخل في هذه الصورة.

أما المجادلة بالباطل للباطل فهي مذمومة بالاتفاق، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥]

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال:٦].

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى:١٦].

ومثال ذلك لما جاء الكفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له: سمعناك وأنت تقرأ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، قالوا هذا يشمل عيسى والملائكة في النار لأنهم يُعبدون، قرآنك يا محمد يغالط بعضه بعضًا، فأنزل الله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]، حجتهم باطلة وغايتهم فاسدة، وأنزل الله تعالى - ردًا عليهم-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: جدال المنافق بالقرآن لا يخطئ واوا ولا ألفا يجادل الناس أنه أجدل منهم ليضلهم عن الهدى وزلة عالم وأئمة المصلين، ثلاث بهن يهدم الزمن".

المجادلة بالحق للباطل:

يدخل فيه السُنيّ الذي يجادل ويناظر بعلم ولكن لا يبتغي بذلك وجه الله، بل يريد الغلبة والخصوم وإظهار النفس والعلو في الأرض والظلم والعدوان لمن يناظره، فيكون عمله مراءة للناس وطلبًا للدنيا، وهذه أيضا مذمومة للنية والغاية الفاسدة، فلم يتوفر فيها شرط الإخلاص. وهذا النوع كان شائعا في أزمان المتقدمين الذين يناظرون بين يدي السلاطين، وفي هذه الأزمنة أيضا.

المجادلة بالباطل للحق:

وهذه لها صور كثيرة جدا، وهي مذمومة، ومن هذا الوجه ذم السلف علم الكلام والمنطق والفلسفة لإشتماله على القضايا الكاذبة والمقدمات الفاسدة، ومن ذلك رد البدعة بالبدعة، ومناظرة الكفار بالأصول الفاسدة والأدلة الباطلة وإن كان مقصودهم إحقاق الحق أو إبطال الباطل، فالمفاسد التي تعود على المجادل بالباطل أعظم من المصالح.

ومن أمثلة رد البدعة بالبدعة ما فعله الجهم بن صفوان عند مناظرته للمانويّة، حيث أنه حصلت بينه وبينهم مناظرة، فجلس أربعين يوما ترك فيها الصلاة ودين الإسلام، ثم بعد أربعين يوما جاء ليرد عليهم فرد عليهم ببدعة شنيعة وهي بدعة التجهم في الصفات، فرد عليهم قولهم البدعي الذي حقيقته الكفر ببدعة أخرى.

ومن هذا الباب مجادلة اليوم للعلمانيين والكفار، فيناظرهم مبتدع ببدعة هو أحدثها، وليس بدين الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا شائع كثير وللأسف لمن تصدى لمناظرة العلمانيين والكفار، أن يرد عليهم ببدع مقابلها، لهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: "لا تجالس صاحب الكلام وإن ذب عن السنة فإنه لا يؤول أمره إلى خير".

obeikandl.com

وقال الإمام ابن بطه العكبري رحمه الله في الإبانة الكبرى: "إياك والتكلف بما لا تعرفه وتمحل الرأي والغوص على دقيق الكلام فإن ذلك من فعلك بدعة وإن كنت تريد به السنة، فإنّ إرادتك للحق من غير طريق الحق باطل، وكلامك على السنة من غير السنة بدعة ".

ومن هذا أيضا المجادلة بالجهل كما هي حال العوام، يقول الله تعالى: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦]، وهذه مجادلة كثير من العوام والمثقفين الذين ليس لهم بضاعة في العلم الشرعي.

فالثلاث الحالات الأخيرة من المجادلات مذمومة ومنهي عنها، أما الحالة الأولى فمنها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم وقد تقدم تفصيل ذلك.

وبهذا يتبين أن أكثر أحوال المجادلات والمناظرات هو الذم والفساد، لذا جاء ذمها على وجه الإطلاق في النصوص من هذا الاعتبار.

okelkandl.com

# خصائص وأساليب الجدل القرآني

## أولاً: الخصائص

يمتاز الجدل القرآني بعدد من الخصائص، من أهمها:

١- أن له قوة تأثير عظيمة في النفوس: وهذا يدل على إعجازه، وهو ما جعل المشركين يصفونه بالسحر، وما هو بسحر، وجعلهم يتناهون عن الاستماع إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]

وقال تعالى عن بعض النصارى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٢-٨٣]

وقال تعالى عن بعض الجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٠].

٢- أنه يخاطب العقل والوجدان جميعاً: فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً وعلى مستوى واحد مما لا يوجد مثله في كلام البشر، فمن نظر في كلام الناس من الفلاسفة والحكماء وكلام الشعراء والأدباء لم يجد إلا غلواص في جانب وقصوراً في الجانب الآخر، فالحكماء مثلاً يقدمون لك ثمار عقولهم من غير أن تتطلع نفوسهم إلى إشباع عاطفتك ووجدانك، أما الشعراء فيقصدون إلى استثارة الوجدان وتهييج العاطفة ولا يبالون بما صوروه هل يكون غياص أو شدا.

٣- أن القرآن نزل لهداية الناس كافة، وما فيه من الاستدلال إنما هو لمخاطبة الناس كافة: وذلك على مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية بعكس طريقة المناطقة والمتكلمين فلا يفهما إلا طائفة خاصة من الناس.

٤- أنه يعرض القضية الواحدة المراد تقريرها في أكثر من أسلوب: فمثلاً: قضية البعث جاء إثباتها في القرآن بأساليب متعددة، مثل: ضرب الأمثال، والتذكير بالنشأة الأولى، وخلق السماوات والأرض، وتأمل قول الله تعالى في سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فذكر الله في هذه الآيات عدة براهين على هذه القضية.

٥- أنه يرشد خصومه إلى إعمال عقولهم وفكرهم: لأن القرآن لا يخاف نتائج العقل، لأنها إذا كانت صحيحة صريحة فإنها لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبأ:٤٦]، ونجد في آيات كثيرة المطالبة بالتزام ما يقتضيه العقل، كما في قوله تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

وقال سبحانه على لسان إبراهيم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧]

٦- أنه يلتزم إنصاف الخصم وتذكيره بما معه من الحق ليحمله ذلك على التزام الحق في جميع مقاماته: ولهذا نجد أن القرآن يخاطب اليهود والنصارى بقوله: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ففيه إشادة بهم، وتذكير لهم بألا يكتموا الحق الذي معهم.

وفي آيات كثيرة يلتزم القرآن عدم التعميم في وصفهم بالصفات القبيحة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ..﴾

[التوبة:٣٤] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ..﴾ [آل عمران:٧٨] وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:٧٥]

٧- أنه قد يأتي في صورة قصة: لأن القصص في الغالب فيها تشويق وتجذب أنظار المخاصمين، لا سيما إذا كان موضوع القصة رسولاً يعرفونه ويدعون متابعته فتأتي الحجة على لسانه فيكون ذلك أقوىتأثيراص وأشد إلزامًا.

ومن أمثلة ذلك قصص الأنبياء في القرآن.

obeikandl.com

## ثانياً: أساليب الجدل القرآني

من أساليب الجدل القرآني ما يلي:

١- قياس الخلف: وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، وذلك كالاستدلال على التوحيد بإبطال الشرك، كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون:٩١] فهذا دليل الامتناع في الخلق والإيجاد، وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] وهذا دليل الامتناع في العبادة والقصد.

٢- السبر والتقسيم: وهو باب من أبواب الجدل يتخذه المجادل حجة لإبطال كلام خصمه، بأن يذكر أقسام الموضوع المجادل فيه ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأقسام خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه، فتبطل دعوى الخصم عن طريق الحصر المنطقي للموضوع.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...﴾ [الأنعام: ١٤٣].

ووجه الاستدلال هو أن الكفار لما حرّموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى، رد الله تعالى ذلك عليهم بطريق " السبر والتقسيم ".

فمعنى الآية: إن الخلق لله تعالى ، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى ، فمم جاء به تحريم ما ذكرتم ؟ أي ما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم لهما أو لا يُدرى له علة ، وهو التعبدي بأن يؤخذ ذلك عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول ، أو سماع كلامه ، ومشاهدة تلقي ذلك عنه ، فهذه وجوه التحريم.

والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حرامًا ، والثاني يلزم أن تكون جميع الإناث حراما، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معًا ، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة ، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن

الله بلا واسطة باطل ، ولم يدّعوه ، وبواسطة رسول كذلك ، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا بطل جميع ذلك ، ثبت أن ما قالوه افتراء على الله تعالى وضلال.

٣- قياس التمثيل: وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بدهي لا تنكره العقول، مثل قياس البعث على النشأة الأولى أو على خلق السماوات والأرض، أو على إحياء الأرض بالمطر، وهذا كثير في القرآن.

٤- القول بالموجب: وهو رد كلام الخصم من فحوى كلامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ [التوبة:٦١]، وقوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

٥- الانتقال: وهو أن ينتقل المستدل إلى دليل آخر لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الدليل الأول أو فهمها لكنه قصد المعاندة، ومن أمثلة ذلك مناظرة إبراهيم الخليل للذي حاجه في ربه.

٦- مجاراة الخصم: وذلك بالتسليم للخصم في بعض مقدماته مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريده، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤] وقال سبحانه: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم:١٠-١١].

٧- التحدي: وذلك إظهاراً لعجز الخصم، كما تحدى الله المشركين لما قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] فتحداهم أن يأتوا بقرآن مثله، فلم يستطيعوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، فلم يستطيعوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة فلم يستطيعوا، ثم تحداهم أن يأتوا بحديث فلم يستطيعوا.

٨- المناقضة: بأن يبين تناقض الخصم، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص:٤٨]

٩- المباهلة: ومعنى المباهلة: أي الملاعنة، وصورتها: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا.

والمباهلة تكون في آخر المجادلة ينتهى عندها أحد الخصمين إلى العناد والمكابرة.

حكمها: الجواز، وذلك عند ظهور الحجة على الخصم، ويدل عليها:

- مباهلة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:٦] قال ابن عباس: أي ادعوا على أي الفريقين أكذب.

- مباهلة النبي صلى الله عليه وسلم للنصارى، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٥٩-٦١]

- وعن ابن عباس أنه قال: من شاء باهلته أن المسائل لا تعول، أي: في الفرائض.

# ترجمة المصنف

(٦٥٧ - ٧١٦ هـ = ١٢٥٩ - ١٣١٦ م)

اسمه ونسبه:

هو: أبو الربيع سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم بن سعيد ابن الصفى المعروف بـ(ابن أبي عباس) الحنبلي نجم الدين.

نشأته وتلقيه العلم:

ولد سنة (٦٥٧هـ)، وهو الطوفى - بضم الطاء وسكون الواو، وبعدها فاء - أصله من طوف قرية ببغداد، ثم قدم الشام فسكنها مدة، ثم أقام بمصر مدة وأشتغل في الفنون، وشارك في الفنون، وتعانى التصانيف في الفنون. وكان قوي الحافظة شديد الذكاء.

قرأ على الزين علي بن محمد الصرصرى بها، وبحث المحرر على التقي الزريراتي، وقرأ العربية علي محمد بن الحسين الموصلي، وقرأ العلوم وناظر وبحث ببغداد.

أقوال العلماء فيه:

قال القطب الحلبي: كان فاضلا له معرفة، وكان مقتصداً في لباسه وأحواله متقللا من الدنيا، وكان يتهم بالرفض وله قصيدة يغض فيها من بعض الصحابة، وكان سمع من إسماعيل بن الطبال وغيره ببغداد، ومن التقي سليمان وغيره بدمشق، وأجاز له الرشيد بن أبي القاسم وغيره.

وقال الصفدي: كان وقع له بمصر واقعة مع سعد الدين الحارثي، وذلك أنه كان يحضر دروسه فيكرمه فيبجله، وقرره في أكثر مدارس الحنابلة فتبسط عليه إلى أن كلمه في الدرس بكلام غليظ، فقام عليه ولده شمس الدين عبد الرحمن، وفوض أمره لبدر الدين بن الحبال فشهدوا عليه بالرفض، وأخرجوا بخطه هجوًا في الشيخين، فعزر وضرب فتوجه إلى قوص فنزل عند بعض النصارى، وصنف تصنيفا أنكروا عليه منه ألفاظًا، ثم أستقام أمره وأقبل على قراءة الحديث والتصنيف، وشرح الأربعين للنووي، واختصر روضة الموفق في الأصول على طريقة ابن الحاجب، حتى أنه استعمل أكثر ألفاظ المختصر، وشرح مختصره شرحاً حسنا، وشرح مختصر التبريزي في الفقه على مذهب الشافعي، وكتب على المقامات شرحاً، واختصر الترمذي.

وقال الكمال جعفر: كان كثير المطالعة أظنه طالع أكثر كتب خزائن قوص، قال: وكانت قوته في الحفظ أكثر منها في الفهم.

وقال الذهبي: كان دينا ساكناً قانعاً، ويقال: إنه تاب عن الرفض. ويقال: إن بقوص خزانة كتب من تصانيفه.

وقال ابن رجب في طبقات الحنابلة: لم يكن له يد في الحديث، وكلامه فيه تخبيط كثير، وكان شيعياً منحرفاً عن السنة، وصنف كتاباً سماه العذاب الواصب على أرواح النواصب، قال: ومن دسائسه الخفية أنه قال في شرح الأربعين: إن أسباب الخلاف الواقع بين العلماء تعارض الروايات والنصوص، وبعض الناس يزعم أن السبب في ذلك عمر بن الخطاب، لأن الصحابة استأذنوه في تدوين السنة فمنعهم، مع علمه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتبوا لأبي شاه"، وقوله: "قيدوا العلم بالكتاب".

فلو ترك الصحابة يدون كل واحد منهم ما سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانضبطت السنة، فلم يبق بين آخر الأمة، وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا الصحابي الذي دونت روايته، لأن تلك الدواوين كانت تتواتر عنهم، كما تواتر البخاري ومسلم.

قال ابن رجب: ولقد كذب هذا الرجل وفجر، وأكثر ما كان يفيد تدوين السنة صحتها وتواترها، وقد صحت وتواتر الكثير منها عند من له معرفة بالحديث وطرقه، دون من أعمى الله بصيرته مشتغلا فيها بشبه أهل البدع، ثم إن الاختلاف لم يقع لعدم التواتر، بل لتفاوت الفهوم في معانيها، وهذا موجود سواء تواترت ودونت أم لا، وفي كلامه رمز إلى أن حقها اختلط بباطلها، وهو جهل مفرط.

وقال ابن رجب: وذكر بعض شيوخنا عمن حدثه: أنه كان يظهر التوبة، ويتبرأ من الرفض، وهو محبوس.

قال ابن رجب: وهذا من نفاقه فإنه لما جاور في آخر عمره بالمدينة، صحب السكاكيني شيخ الرافضة، ونظم ما يتضمن السب لأبي بكر، ذكر ذلك عنه المطرى حافظ المدينة ومؤرخها، وكان صحب الطوفي بالمدينة، وكان الطوفي بعد سجنه قد نفي إلى الشام، فلم يدخلها لكونه كان هجا أهلها، فعرج إلى دمياط فأقام بها مدة ثم توجه منها إلى الصعيد.

وقد قال ابن مكتوم في ترجمته من تاريخ النحاة: قدم علينا في زي الفقراء، ثم تقدم عند الحنابلة، فرفع عليه الحارثي أنه وقع في حق عائشة، فعزره وسجنه، وصرف عن جهاته، ثم أطلق فسافر إلى قوص فأقام بها مدة، ثم حج سنة (٧١٤هـ) وجاور سنة ١٥، ثم حج ونزل إلى الشام فمات ببلد الخليل سنة (٧١٦ هـ) في رجب.

وكان موته ببلد الخليل في رجب سنة (٧١٦ هـ)، وعاش أبوه بعده سنوات.

مؤلفاته:

١- "بغية السائل في أمهات المسائل" في أصول الدين.

٢- و"الإكسير في قواعد التفسير".

٣- و"الرياض النواضر في الأشباه والنظائر".

٤- و"معراج الوصول" في أصول الفقه.

٥- و"الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة".

٦- و"تحفة أهل الأدب في معرفة لسان العرب".

٧- و"الإشارات الإلهية والمباحث الأصولية".

٨- و"العذاب الواصب على أرواح النواصب" حُبس من أجله، وطيف به في القاهرة.

٩- و"تعاليق على الأناجيل".

١٠- و"شرح المقامات الحريرية".

١١- و"البلبل في أصول الفقه" اختصر به "روضة الناظر وجنة المناظر" لابن قدامة.

١٢- و"شرح مختصر الروضة" شرح مختصره للروضة.

١٣- و"موائد الحيس في فوائد امرئ القيس ".

١٤- و"مختصر الجامع الصحيح للترمذي ".

١٥- علم الجدل، أو عَلَم الجَذَل في علم الجدل كما كتب في المخطوط، يقول الطوفي في مقدمة كتابه:

ومن شاء فليسمه "عَلَم الجذل في علم الجدل" إذ كان لغرابة وضعه وطريقته يصلح أن يكون علمًا على انشراح صدر الناظر فيه وسعته...

مصادر ترجمته:

١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢/١٥٤.

٢- المقصد الأرشد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ١/٤٢٦.

٣- بغية الوعاة ١/٥٩٩.

٤- ذيل طبقات الحنابلة ١/٣٢٩.

٥- شذرات الذهب لابن العماد ٦/٣٩.

obeikandl.com

# وصف النسخة الخطية

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب على نسخة محفوظة في المكتبة السليمانية برقم (٢٣١٥)، وهو عبارة عن مجموع يقع في (٢٥٢) لوحة، وقد كتبت على طرة المخطوط أسماء الرسائل التي داخل المجموع، وهي:

١- عَلَم الجَذَل في علم الجدل.

٢- وفيه كتاب درء القبيح بالتحسين والتقبيح.

٣- وفيه كتاب الانتصارات الإسلامية وكشف شبه النصرانية.

٤- الرد على كتاب صنفه بعض النصارى سماه السيف المرهف في الرد على المصحف.

وكتابنا وهو علم الجدل يقع في (٦٤) لوحة، وفي الصفحة (٢١) سطرًا، وقد كتبت بخط ناسخ عادي وواضح، وفيه ضبط بالشكل لبعض الكلمات.

obeikandi.com

# منهج التحقيق

سار عملنا في الكتاب وفق المنهج التالي:

١- نسخ النص نسخًا علميًا دقيقًا.

٢- مطابقة النص ومراجعته.

٣- تخريج الآيات القرآنية وفق مواضعها من المصحف الشريف.

٤- تخريج الأحاديث الشريفة، وعزوها على كتب السنة المطهرة.

٥- التعليق على المواضع التي تحتاج زيادة إيضاح، أو بسط مسألة، أو بيان مشكل.

٦- ترقيم النص حسب قواعد الترقيم الحديثة.

٧- صنع مقدمة حول علم الجدل، وترجمة وافية للإمام الطوفي.

٨- عمل فهارس تفصيلية لأبواب الكتاب.

وأخيرًا فهذا هو جهد المقل، والمرجو ممن يطلع على كتابنا فيجد فيه عيبًا أن يبادرنا بالنصيحة، والتصويب، فكل معرض للخطأ، ولا كمال إلا لله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

المحقق

obeikandl.com

## صور النسخة الخطية

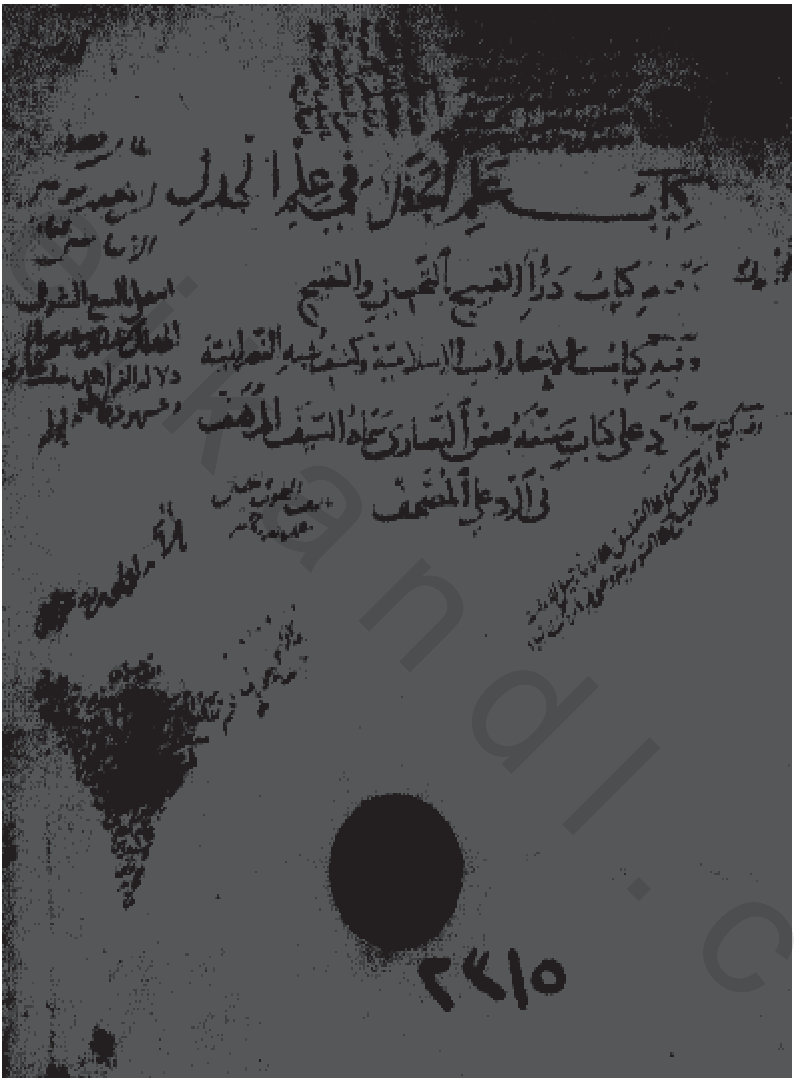


obeikandl.com

## صور النسخة الخطية

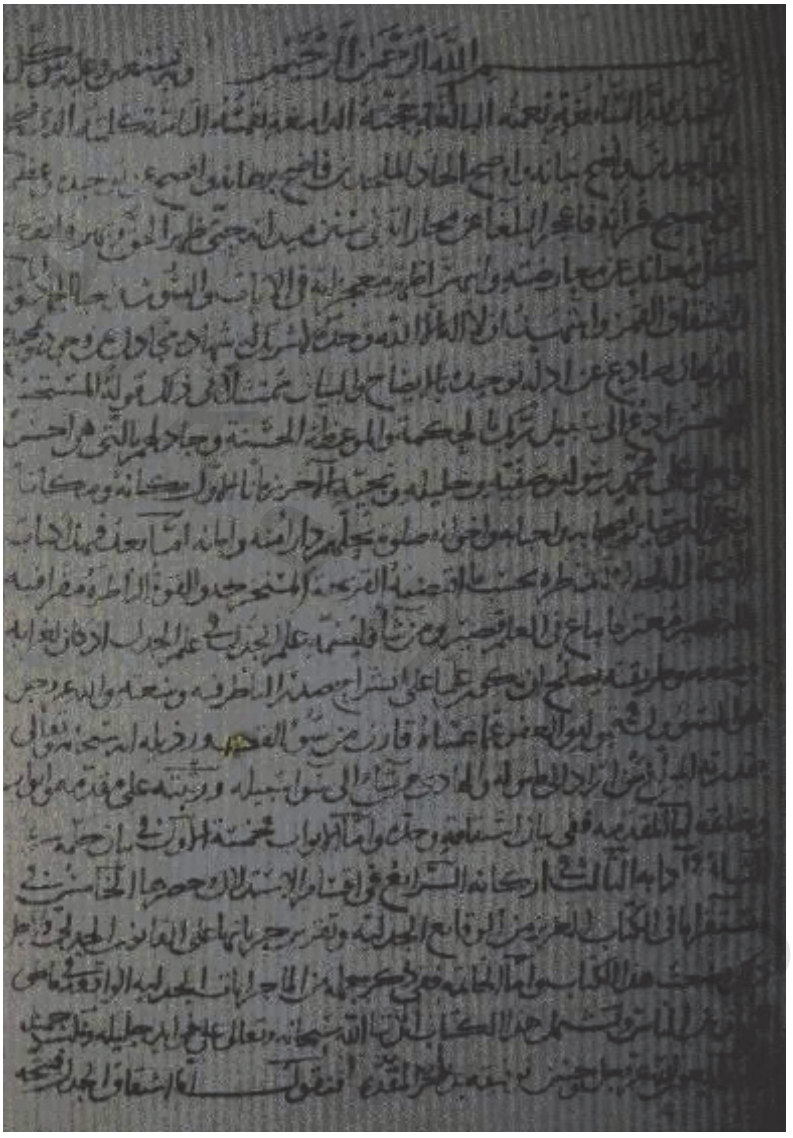

## صور النسخة الخطية

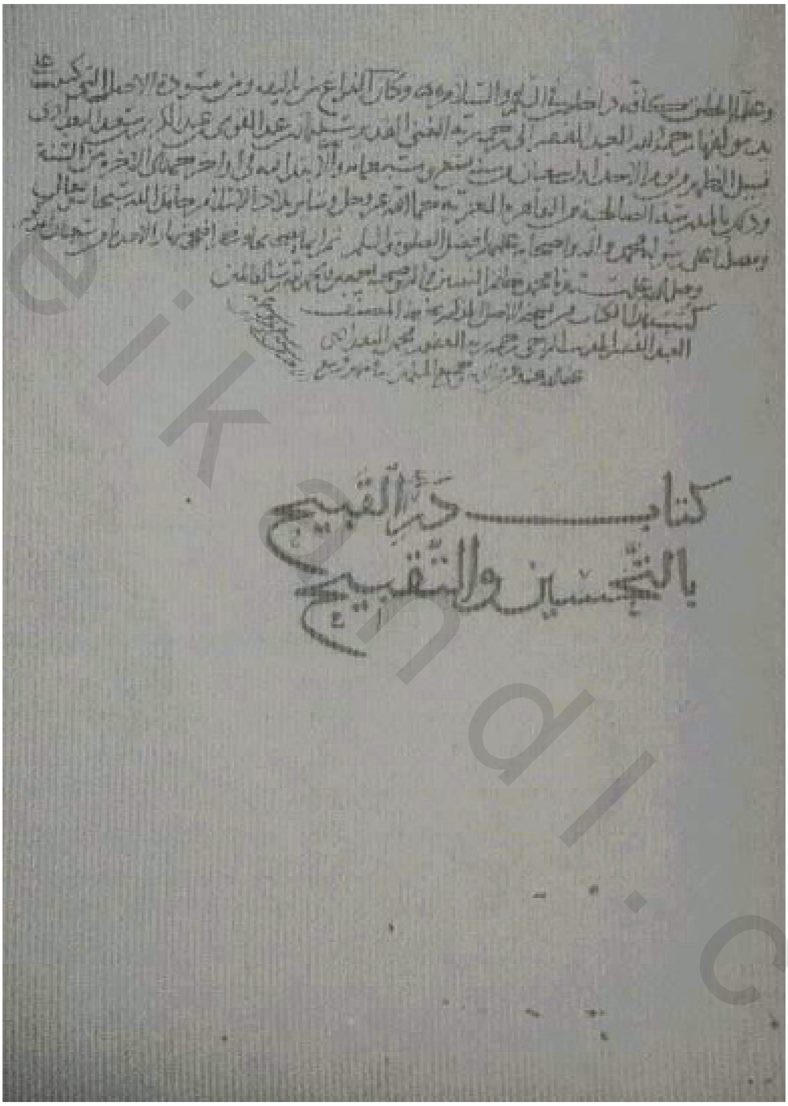
كتاب دفع القبيح
بالتحسين والتقبيح

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# وبه نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله السابغة نعمته البالغة حجته، الدامغة نقمته، التامة كلمته، الذي فضح الجاحدين واضح بيانه، وأوضح إلحاد الملحدين فاضح برهانه، وأفصح عن توحيده وعظمته في فصيح قرآنه، فأعجز البلغاء عن مجاراته في سنن ميدانه، حتى ظهر الحق وبهر، وانقطع كل معاند عن معارضته وانبهر، وأظهر معجزاته في الآيات والسور، وإحياء الجماد والميت وانشقاق القمر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مجادل عن وجوده وتمجيده بالبرهان، صادع كل أدلة توحيده بالإيضاح والبيان، ممتثلًا في ذلك قوله المستحسن الأحسن ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأصلي على محمد رسوله وصفيه وخليله ونجيه الآخر زمانًا الأول مكانة ومكانًا وعلى آله وسائر أصحابه وأحبابه وإخوانه صلوة تحلهم دار أمنه وأمانه.

أما بعد... فهذا كتاب ألفته في الجدل والمناظرة، بحسب ما اقتضته القريحة المستخرجة والقوة الناظرة، مقرًّا فيه بالتقصير، معترفًا بباع في العلم قصير، ومن شاء فليسمه "علم الجذل في علم الجدل" إذ كان لغرابة وضعه وطريقته يصلح أن يكون علمًا في على انشراح صدر الناظر فيه وسعته، والله عز وجل هو المسئول عن قبوله والعفو عما عساه قارن من سوء القصد ورذيله، إنه سبحانه وتعالى بقدرته المبلغ من أراد إلى مأموله والهادي من شاء إلى سواء سبيله.

ورتبته على مقدمة وأبواب وخاتمه:

أما المقدمة ففي بيان اشتقاقه وحده.

وأما الأبواب: فخمسة الأول في بيان حكمه شرعًا، والثاني في آدابه، والثاني في أركانه، والرابع في أقسام الاستدلال وحصرها، والخامس في استقراء ما في الكتاب العزيز من الوقائع الجدلية وتقرير جريانها على القانون الجدلي، ولأجل ذلك وضعت هذا الكتاب.

وأما الخاتمة ففي ذكر جملة من الماجرايات الجدلية الواقعة في ماضي الزمان بين الناس، ويشتمل هذا الكتاب إن شاء الله سبحانه وتعالى على فوائد جليلة ونكت جميلة.

obeikandl.com

# المقدمة

## [في اشتقاق الجدل ورسمه ومادته وموضوعه وغايته ومسائله]

ولنبدأ بعون الله عز وجل، وحسن توفيقه بذكر المقدمة فنقول: أما اشتقاق الجدل[1] فيتجه من أصول بناء على ما عرف في علم الاشتقاق أنه متى اتفق اللفظان في المعنى

---

(١) علم الجدل: هو: علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام ونقض.

وهو من فروع علم النظر ومبنى لعلم الخلاف مأخوذون الجدل الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق لكنه خص بالعلوم الدينية.

ومبادئه: بعضها مبينة في علم النظر وبعضها خطابية وبعضها أمور عادية وله استمداد من علم المناظرة المشهور بآداب البحث وموضوعه تلك الطرق.

والغرض منه: تحصيل ملكة النقض والإبرام.

وفائدته: كثيرة في الأحكام العلمية والعملية من جهة الإلزام على المخالفين كذا في مفتاح السعادة ولا يبعد أن يقال: أن علم الجدل هو: علم المناظرة لأن المآل منهما واحد إلا أن الجدل أخص منه.

ويؤيده كلام ابن خلدون في المقدمة حيث قال: الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا ومن الاستدلال ما يكون صوابا وما يكون خطاء فاحتاج إلى وضع آداب وقواعد يعرف منه حال المستدل والمجيب.

ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه كان ذلك الرأي من الفقه وغيره.

وهي طريقتان: طريقة البزدوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال.

وطريقة: ركن الدين العميدي وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان والمغالطات فيه كثيرة وإذا اعتبر بالنظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة يتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي.

وهذا العميدي هو أول من كتب فيها ونسب الطريقة إليه ووضع كتابه المسمى: (بالإرشاد) مختصرا.

وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره.

فكثرت في الطريقة التآليف وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم في الأمصار وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية. انتهى.

وقال المولى أبو الخير: وللناس فيه طرق أحسنها طريق ركن الدين العميدي.

وأول من صنف فيه من الفقهاء الإمام أبو بكر: محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الشافعي المتوفى: سنة ٣٣٦، ست وثلاثين وثلاثمائة.

والحروف الأصول جاز الاشتقاق على ما حققناه غير ها هنا، فيمكن اشتقاق الجدل من الجدل بسكون الدال وهو الشد، والإحكام يقال جدلت الحبل أجدله جدلًا كتصريف فتلته أفتله فتلًا إذا فتلته فتلًا شديدًا محكمًا، ومنه جارية مجدولة الخلق أي محكمة البنية، والأجدل الصقر لاشتداد خلقته وقوته في نفسه، ولا شك أن في الجدل معنى الشد والإحكام؛ لأن كلًّا من الخصمين يشتد على خصمه ويضايقه بالحجة التي اجتهد في إحكامها.

ويمكن اشتقاقه من الجدالة – بفتح الجيم – وهي الأرض، كأن كل واحد من المتجادلين يقصد غلبة صاحبه وصرعه في مقام النطق كما يجدل الفارس قرنه أي يرميه بالجدالة، يقال: طعنه فجدله وانجدل هو إذا سقط.

ويمكن اشتقاقه من الجدالة – بفتح الجيم – من غير هاء وهو البلح إذا اخضر واستدار قبل اشتداده بلغة أهل نجد، كأن كل واحد من المتجادلين يقصد الاستعلاء والارتفاع على صاحبه في الحجة حتى يكون منه كموضع الجدال وهو البلح من النخلة.

ويمكن اشتقاقه من المجدل وهو القصر وجمعه مجادل؛ لأن كل واحد من المتجادلين يتحصن من صاحبه بالحجة تحصن صاحب القصر به.

ويمكن اشتقاقه من الجدول وهو النهر الصغير لنفتل الماء فيه، فكأن كل واحد منهما يقصد فتل صاحبه عن رأيه فتل الماء في النهر.

ويمكن اشتقاقه من الأجدل وهو الصقر، كأن كل واحد منهما يسطو بالحجة على صحابه سطوة الأجدل على الطير ويشتد عليه اشتداده عليها.

وكأن مادة (ج د ل) ترجع في جميع تصاريفها إلى معنى القوة والامتناع والشد والإحكام، فيكون الجدل مشتقًّا من هذا المعنى الجامع الكلي، ومن كل واحد من جزئياته باعتبار ما يشتركان فيه من ذلك المعنى.

قال الجوهري: يقال جادله أي خاصمه مجادلة، وجدالًا والاسم الجدل وهو شدة الخصومة.

أما رسم الجدل في الاصطلاح: فقيل: هو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر والمناظر الشك والارتياب.

قلت: ولك أن تقول فيه: إنه رد الخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة، أو يقال علم أو آلة يتوصل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدليل، وإنما قلنا عن رأيه إلى غيره ولم نقل إلى رأي خصمه المناظر له؛ لأن الخصم قد يناظر عن مذهب غيره إعانة لذلك الغير كالحنبلي ينصر مذهب بعض الطوائف الثلاثة وقد يكون مقصوده إفساد مذهب الخصم لا تصحيح مذهبه هو، فلا جرم يرجح أي مذهب كان ويقابل به مذهب خصمه وبه يحصل مقصوده.

وحكى الإمام عن الغزالي أنه قال: الجدل منازعة بين متفاوضين لتحقيق الحقيق وإبطال الباطل، وزعم أنه محيل من وجوه في أكثرها نظر. قال: والصحيح أن يقال: الجدل ملكة صناعية يتمكن بها صاحبها من تركيب الحجة من مقدمات مشهورة أو مسلمة لإنتاج نتيجة ظنية.

قلت: وفيه نظر من جهة أن الملكة حالة راسخة في النفس وذلك لا يسمى جدلًا لا لغة ولا اصطلاحًا ولا شرعًا، ولا يوافقه الاشتقاق. وإنما ذلك جدل بالقوة لا بالفعل.

واعلم أن مادة الجدل أصول الفقه من حيث هي إذ نسبته إليها نسبة معرفة نظم الشعر إلى معرفة أصل اللغة، فالجدل إذن أصول فقه خاص، فهي تلزم الجدل وهو لا يلزمها؛ لأنها أعم منه وهو أخص منها، وموضوعه أعني الجدل هو الأدلة من جهة ما يبحث فيه عن كيفية نظمها وترتيبها على وجه يوصل إلى إظهار الدعوى وانقطاع الخصم، وغايته رد الخصم عن رأيه ببيان بطلانه، ومسائله مطالبة الخاصة الجزئية نحو هل يشترط أن يكون أصل القياس مجمعًا عليه؟ وهل ينقطع المستدل بمنع الأصل؟ وهل يجوز الفرض في صورة خاصة؟ وهل يلزم بناء بقية الصور عليها؟ ونحوه ذلك، هذا آخر المقدمة فلنشرع بعون الله في الأبواب.